لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الاصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الاصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسرنا كما سر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من أنه صدرت الارادة السنية الي حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تؤلف تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نوري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطوفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافلة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بآرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبعثنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملا بقول سيدنا علي كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرته النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة ببقاء حوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها ما استحكم في في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنامهم من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شاكل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطلوبة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على معاقد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانتكاس في الطبائع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أو كانت العزة لسائد عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ما وراء النهر وقبائل التركمان واشباههم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى خشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تداركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد مهد لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واستمالة أهوائهم الى الاخذ بدسائسهم والاصاخة الى وساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعاتهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى العثمانية لتضليل المسلمين فلا ترى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين أو اليسوعيين أو المزارية أو الفرير أو جمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم. ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي المناصب الدينية الاسلامية . وأولئك الضعفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحداثة ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزري على دينهم وعقائد آبائهم ويعيب عليهم التمسك بعرى الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساتذتهم القوام على تربيتهم باذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يتلقونه من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا تنقضي سنو تعليمهم الا وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تعقد قلوبهم على محبة الاجانب وتجذب أهواؤهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصيرون بذلك وبالا على الامة ، ورزية على الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانيين في النزعة ، هذا ما جلبه الجهل على الامة الاسلامية وان غائلته لمن أشد الغوائل وقد كنا نخاف أن تحل بواقعها لو لم تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني جملة واما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

عن قروءا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده منكبين على الشهوات وسفساف الملذات لايخشون الله في سر ولاجهر ولا يراعون له حكما في خير ولاشر وانحط بهم ذلك الى الكلب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الخيانة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية ويطلبون التخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم وترى غيرهم من الامم يتسابقون الى الانتظام في سلك جندياتهم مع أنها غير معروفة في دينهم بل مضادة لصريح نصوصه وترى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والانفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على شهواتهم بعكس ماترى في سائر الامم . هكذا انطفأ من المسلمين مصباح العقل فلا يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولاحول ولاقوة الا بالله

هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير نذكرها مقرونة بأنفاس الاسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا ذئابهم يتخطفون شاذتهم وأغلبهم شاذة ويقترسون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارعة الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى ولا حول ولاقوة الا بالله

واذا استقرينا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد واما بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أُهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها ولا يصبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وانما هو مجبور في ما يصدر منه جبرا محضا فلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع ذنبا حتى تشمله بالغفران قطعا لا احتمال معه للعقاب فليفعل الانسان ما يفعل من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله وأما الذين أصابوا شيئا من العلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وان هدموا كل ركن سواهما ويشتركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذا ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع العادية وأولئك الاغلب من طلاب الافتاء والقضاء ووظائف التدريس وماشا كل ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فان مال بهم طلب العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهؤلاء لا تخلص مفاسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم فهذا القسم أعظم الاقسام خطرا وأشدها ضررا في العامة والخاصة وما أفراده بقليل

نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين في قلوبهم نار الحمية واستفز اليقين هممهم للنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم قد يكون خامل الذكر أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة، وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافيا في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا ما ألطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لعجل لها من الوبال ما استحقته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحراف قلوبها عن مقاصد ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فيا للنعمة العظمى

وبالمرحمة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشراها وجوه الصادقين، وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأييد دولته، واعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على سببها الذي أشرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الاسلام وأعضاء اللجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح المدارس أن يدرج في فنون المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفنية مع بقاء التعليم على طرقه المعهودة في المساجد وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبن على عقائد صحيحة وايمان صادق لا تلبث أن تضمحل ولئن ثبتت فانما تسوق الى أعمال خالية عن الثبات وخاوية من سر الاخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه النظار الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكر بما تنال النفس من ذلك الفن فيكون اتذكار مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والخيانة والنميمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق قواعدها مستندين الى الشرع الشريف بحيث تذكر ما أخذها من القرآن والسنة الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن حذا حذوهم كحجة الاسلام الغزالي وأمثاله فالمقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعهما ركن من الاصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبعهما فن آخر يقوى على الغرض منهما وهو فن التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لاقوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا نقسم طبقات الناس الى ثلاث ونعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون

فالطبقة الاولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم . والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

﴿الطبقة الأولى﴾ هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشيء من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة ينتفعون بها في معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فهؤلاء يهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير شاخطين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدايات تعليمهم مواقد الحمية ومعاصم الانفة الملية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاوربية مما تعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن نوضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقا مع الاستدلال عليها بالادلة الاقناعية القريبة المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استعداد لدفع ما يرد عليها من وساوس دعاة الانجيل المنبثين في كل قطر

ثانيا — كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق المتينة والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤيداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبدا لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول

ثالثا — كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقومهم وإثبات ان ذلك بسر الصدق في المكافحة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعة فيها

التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف

﴿ الطبقة الثانية ﴾ هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والملكية والعسكرية والطبية وما يتلوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها — الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصومات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كفتي النظام يرجح ما رجح فيه ويسقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم آمراً في ادارة أمور الرعية آخذ لنظام الخلق والسراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يلتبس من مسالك أهوائها ليضبط الاعمال ويلزم الحدود ويوفر وسائل العمران فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت . فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزاد طابعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي

أولا — كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول النظر وشيء من آداب الجدل

ثانيا — كتاب في العقائد يوضح على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط واتيان الطريق الاقرب وتجانب الخلاف بين المذاهب الاسلامية أيضا الا أن يتوسع فيما بيننا وبين النصارى لايضاح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الاسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلا عن غاية السعادة الأخروية

ثالثا — كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والرذائل ببيان أكمل مما في البداية وتوضيح لاسباب الاخلاق وعللها وآثارها على وجه يقنع به العقل وتطمئن به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكتابين على مايفرم الحمية في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الا معالي الأمور

رابعا — كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء العثمانيون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة للغرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويدرج فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المفقود فضلا عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفيهم أن يتعلموا هذه الكتب بألسنة آبائهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لتربيتهم الدينية أن يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من ايقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفا بمدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثرا في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والمكاتب الابتدائية اذا وجدت فيهم الاوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في الممنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أوهام العامة

التعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الامة وهداة الملة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية اذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لاهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لابلاغهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزاد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لافادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي للمسترشد ولأجل هذا نقتصر في بيان ما يحتاجون اليه على ذكر الفنون دون التعرض لاعيان الكتب الا قليلا فتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولا — فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج اليه ليقرأ القرآن تفهما وتطلبا لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أمرهم الا إرجاعهم اليه ولم تقرع صيحته أعماق قلوبهم وتزلزل هزته رواسي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد اليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقة الابل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفا باللغة العربية ومذاهب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فعلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج الى وسيلة أخرى فأولاها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب كتفسير الكشاف وتفسير النيسابوري ومن أخذ طريقهما

ثانيا — فنون اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ جاهلي وما يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثا — فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسرا للقرآن مبينا له مع اطراح ما يخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لارجاع الأحاديث الصحيحة اليه ان كان ظاهرها يوهم المخالفة

رابعا — فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو ما سلك الامام الغزالي في الاحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على الاصول المشهورة

خامسا — فن أصول الفقه من وجه يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الاحكام ونرى أفضل كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس

سادسا — فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك الاسلامية الاولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في انهاض الاسلام من كبوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب ما وصلت اليه المملة في هذه الايام ليتبين أنه لا سبب لذلك الا الجهل بالدين والانحراف عن أحكامه وانشقاق عصا الامة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعا — فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في الأذهان وتثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والارتفاع بها عن دنايا الصفات وسفساف الأمور

ثامنا — فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة بعض الكتب الحكمية الاسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلتي العلم والعمل ولم نتعرض لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي اذ يضطر اليه كل ساكن في الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات والرياضيات والطبيعيات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكاهم أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها شهادة ببلوغة الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات انما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها بأعمالهم فتلتئم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة يخشى بأسها ويخاف بوائق غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على المسلمين في راحتهم الداخلية وبالجملة فالمقصد من اصلاح الجداول انما هو الى إحياء الملة وقد كانت كادت تموت والعياذ بالله

وهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتهزها وتستفزها من مقار الخمول والغفلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال المعلمين وأعمالهم ومؤاخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصروا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكن من خواطرهم . ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكمل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعد الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وخبرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدراية كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع أرواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الاسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغما عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا واقي للملة سواه وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم

هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ونؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدينا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه ظلا لله ورحمة لعبيده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الاصلاح الديني كلام هو كالتتمة له فنتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل اليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والاعراب المستقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حق قدرها فاصلاح جداول التعليم في المدارس لا تعميمها فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهؤلاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ماوصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقض الواجب الالتفات اليهم باصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترتيب دعوة تنبههم الى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تربيتهم وتهذيبهم ثم تخدمهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أنهم لو رغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والانفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في ادارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض الموسرين والاغنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما يتفق على انشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والمجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ماجهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبثون بين العامة ليقفوهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهؤلاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعا في الفنون لا دبية الشرعية وأوسعهم علما بعلل الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ القلوب للدخول اليها بما يصلحهم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بلغتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاستماع

ومن هذا تلزم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليتها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبينون لهم مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الاصلاح اذا وجهت العناية اليه رجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبشيرهم دعاة ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الاشغال فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمنا طويلا

فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمعونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضا والذين يليقون لوظيفة الارشاد فهم أن تعسر وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يتطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهؤلاء لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب

وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا القريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فانه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخليص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فاننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب الا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من اصلاحه فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون.

هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به القول أضعافا مضاعفة فان دعينا اليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي الى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب: هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه يبغض الدولة فليأتنا أحد بمثل نصحه للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها.

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين، وبث الارشاد في نفوس المسلمين، فيستبشر المغرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فافهم